من العرب والمسلمين والفلسطينيين وتحركت على محورين:

الأول: اللجوء إلى المحاكم المحلية لدرء أضرار الحاخام.

والثاني: ترميم المكتبة وما تحتويه من كتب.

وبعد فشل الحاخام في الاستيلاء على المكتبة بدأت محاولات بلدية القدس للاستيلاء عليها، وكذلك بدأت مضايقات الجيش الإسرائيلي والمستوطنين المسلحين، وتصدرت لهذه المحاولات الآنسة هيفاء حيدر كامل الخالدي (ت ١٩٩٣)، حتى صدر إذن من البلدية بالسماح بترميم المكتبة.

وفي عام ١٩٨٩ سجلت جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية في الولايات المتحدة، وانضم إليهم بعض كبار المستشرقين في الولايات المتحدة وأوربة.

وأصدرت جامعة كولومبية في نيويورك دراسة كتبها الدكتور رشيد إسماعيل الخالدي، عن محتويات المكتبة الوثائقية حول الهوية الوطنية الفلسطينية في كتاب بالإنكليزية صدر عام ١٩٧٧.

ومن خلال قصة المكتبة يمكن أن نبرز أوجه الصراع والمقاومة ضد الاحتلال الصهيوني في ما يلي:

- استمرار اهتمام أهل القدس عبر القرون بالعلوم الدينية والتراث الإسلامي.
- إنشاء المؤسسات العلمية بجوار الحرم الشريف، وإدراكهم لوجوب تثبيت وجودهم من خلال مؤسسات علمية مجاورة للحرم.
- دور الأوقاف الإسلامية.
- القدرة على الصمود، على الرغم من كل ما تعرضت له بعد تشتت معظم أفراد العائلة، منذ أحداث عامي ١٩٤٨ – ١٩٦٧ المحزنة. ولم يبق منهم في القدس سوى عدد قليل.
- منذ عام ١٩٦٧ استولت إسرائيل على أوقاف عائلية عديدة مما قضى على معظم مصادر الإنفاق على المكتبة.
- كما بدأت منذ عام ١٩٦٧ محاولات الاستيلاء على الطابق العلوي من المكتبة ثم اتجهت إلى الطابق الأرضي، حيث توجد خزائن المكتبة، واستمرار ذلك أكثر من عشر سنوات.
- لجأت أسرة الخالدي إلى المحاكم، وأسست جمعية أصدقاء المكتبة وجمعت التبرعات لرعايتها وترميمها.
- ومن أهم عوامل المقاومة والاستمرار إتمام وضع فهرس جديد بمقتنياتها، بعد أن كان لها فهرس صدر عام ١٩٠٠، وفهرس آخر مخطوط باليد.
- وقد بدأ وضع الفهرس الجديد منذ عام ١٩٨٥ وهو الآن على وشك النشر، وتقوم

بنشره مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، صنفه الدكتور نظمي الجمعة من جامعة بيرزيت الفلسطينية.

- كما بدأ ترميم المخطوطات ومنذ عام ١٩٩٥ بدأت أعمال ترميم مبنى كبير من أوقاف العائلة في الجهة المقابلة لمبنى المكتبة، ليصبح ملحقاً توضع فيه الكتب المطبوعة ولتبقى المخطوطات في المبنى القديم.

- وتلقت المكتبة معونات من اليونسكو والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي ومن المملكة الهولندية إلى جانب معونات أهلية.

- في العام (٢٠٠٠) تحل الذكرى المئوية للمكتبة وسوف يكون نشر الفهرس الجديد مظهراً من مظاهر الاحتفال بها.

- ويقوم الدكتور وليد الخالدي المقيم في كمبردج ماشوسيتس (الولايات المتحدة) برئاسة مجلس أمناء جمعية أصدقاء المكتبة. وهو مصدر أي باحث لمعظم المعلومات حول المكتبة.

- وفي قصة هذه المكتبة تتكامل الجهود الخلاقة للعائلة والفرد. وتتجلى أصالة التاريخ الضارب بعمق الأرض.

- ومن الجدير بالذكر أن أحد أفراد هذه الأسرة، وهو يوسف ضياء الدين الخالدي، أرسل إلى تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية رسالة في مارس ١٨٩٩ عبر صديق هرتزل، وهو كبير حاخامي فرنسا (صدوق كاهن) يحذره فيها من مجيء اليهود إلى فلسطين، ورد عليه هرتزل في أربع صفحات بالفرنسية، يقول فيها: إذا لم يوافق السلطان عبد الحميد على المخطط، فإن الصهيونية ستتوجه إلى بلد بديل غير فلسطين. وربما كانت هذه الرسالة هي الوحيدة الموجهة من هرتزل إلى شخص عربي.

بعض مظاهر الصحوة:

حتى عام ١٩٤٨ كان التعريف بالمخطوطات في فلسطين نادراً وفي أوائل الثمانينيات من القرن العشرين نشط الفلسطينيون للعناية بتراثهم، بعد أن انشغلوا بالسياسة طوال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات.

وقد ساعدهم على الاهتمام بالمخطوطات من أوائل الثمانينيات بعض الجامعات الفلسطينية، مثل جامعة النجاح الوطنية في نابلس، وجامعة القدس العربية في قرية أبي ديس، على أطراف القدس الشرقية القديمة، وكانت تنفق عليها الكويت منذ نشأتها حتى فترة متأخرة.

وأسهم مجمع اللغة العربية الأردنية والجامعة الأردنية ومؤسسة آل البيت في عمان، ثم مؤسسة الفرقان في لندن، في نشر فهارس للمخطوطات في فلسطين.

وبعد أوسلوا وفي عهد السلطة

الفلسطينيــة أنشئــت وزارة للثقافة في رام الله وبهــا إدارة عامــة منبثقة عــن الوزارة للمكتبــات والمخطوطات، وهــي التي تتابع الآن أعمــال حصر المكتبــات الفلسطينية، وتزويدها بــالأدوات والإمكانيات، وتصوير المخطوطات ونقل المصورات خارج القدس.

كما أنشئــت في بيت المقدس عام ١٩٨٣ مؤسسة إحياء الــتراث والبحوث الإسلامية ، لحماية المخطوطــات مما تعرضت له من خطر الحروب والنهب.

ويقدر تقرير هذه المؤسسة أن مخطوطات فلسطــين كانت نحو خمسين ألف مخطوطة أصلية، لم يبق الآن إلا نحو ثمانية آلاف.

وقد جمعت مؤسسة بيت المقدس ستمئة مخطوطــة أصليــة، نحــو ٣٥٠٠ مخطوطة مصورة، ونصف هــذه المخطوطات مصاب بالأرضة وبالرطوبــة لسوء حفظها، وتحتاج إلى فهرسة.

ولعلّ من أهم علامــات الصحوة حصر مجموعــات المخطوطــات في فلسطــين، وقــد أصــدرت الإدارة العامــة للمكتبــات والمخطوطــات بــوزارة الثقافــة بالسلطــة الفلسطينية في حزيران ٢٠٠٠ دليلاً لمكتبات المخطوطات ومراكزها في فلسطين، حصرت فيــه اثنتين وعشريــن مكتبة، وقــد أعدته الإدارة، استجابــة لطلب أ.عصام الشنطي، وقــد استعانت بمصادر أخــرى للتدقيق في هــذا الحصر ، فوصل العدد إلى ٢٧ مكتبة، منها اثنتــان توجدان في فلسطــين المحتلة عام ١٩٤٨، وهما المكتبة الأحمدية في عكا، والإسلامية في يافــا . وكان أهم مصدر هو قائمــة بفهارســ المخطوطات صــادرة عن مؤسسة آل البيت بالأردن.

وفي ما يلــي قائمة بما أمكن حصره من هذه المكتبات:

- مكتبــات المخطوطات في فلسطين التي أمكن حصرها

مكتبــات في المناطق تحت يــد السلطة الفلسطينية:

في القدس (المدينــة القديمــة) الشرقية:

١- المكتبــة الخالديــة (لهــا فهارس مطبوعة، وفهرس حديث قد طبع الآن عام ٢٠٠٠).

٢- دار إسعاف النشاشيبي (في القدس الشرقية، ولكن خارج السور)

٣- مكتبة الخطيب.

٤- المكتبة البديرية (لها فهرس مطبوع عام ١٩٨٧)

٥- مكتبة المسجد الأقصى (لها فهرس مطبوع من ثلاثة أجزاء)

٦- مكتبة الأنصاري.

٧- مكتبــة جامعــة القدســ (صدر

فهرس لمكتبة الدعوة وأصول الدين بجامعة القدس)

٨- مكتبة مؤسسة إحياء التراث (تابعة للسلطة الفلسطينية) وهي مصورات وقليل من الأصول.

٩- مكتبة إسحاق موسى الحسيني (لها فهرس بخط اليد ١٩٧٥)

١٠- مكتبة جمعية الدراسات العربية

في نابلس

١١- مكتبة نمر النابلسي (لها فهرس مطبوع ١٩٨٣).

١٢- مكتبة مركز التوثيق والمخطوطات (في جامعة النجاح).

١٣- مكتبة تفاحة (لها فهرس) ولها مصورات في جامعة النجاح.

١٤- مكتبة آل الجوهري (أو المكتبة الجوهرية) لها فهرس مطبوع عام ١٩٩٠.

١٥- مكتبة القمحاوي لها فهرس مطبوع عام ١٩٩٢.

١٦- مكتبة الصمادي لا فهرس.

١٧- مكتبة بلدية نابلس العامة.

١٨- مكتبة آل صوفان.

في الخليل:

١٩- مكتبة الحرم الإبراهيمي لها فهرس مطبوع عام ١٩٨٣

٢٠- مكتبة جامعة الخليل.

في غزة

٢١- مكتبة الجامع العمري.

٢٢- مكتبة الجامعة الإسلامية.

في جنين

٢٣- مكتبة أوقاف جنين في قرية برقين مسجدان بهما مخطوطات.

٢٤- مكتبة آل جرار.

في البيرة (ملاصقة في رام الله)

٢٥- مكتبة الأرشيف الصحفي والوثائق (إنعاش الأسرة) توجد بها مصورات مخطوطات فقط.

في فلسطين المحتلة ١٩٤٨

٢٦- المكتبة الأحمدية في عكا لها فهرس مطبوع ١٩٨٢.

٢٧- المكتبة الإسلامية في يافا لها فهرس مطبوع عام ١٩٨٤.

٢٨- حيفا فيها بعض المكتبات الخاصة لم نعرف عنها شيئاً.

٢٩- الناصرة أديرة

ومن الدليل الذي أعدته الإدارة العامة للمكتبات والمخطوطات بالسلطة الوطنية الفلسطينية، يتضح أن أكبر هذه المكتبات من حيث عدد المخطوطات يحتوي على ألفي عنوان تقريباً وأن بقية المكتبات يحتوي على مئات العناوين. وبعضها الآخر يحتوي على أقل من مئة ومن أمثلة ذلك:

١- المكتبة الخالدية وبها ٢٠٠٠ عنوان

ويدخل فيها محتويات المجاميع.

٢- مكتبة المسجد الأقصى وبها نحو ١٦٠٠ عنوان ويدخل فيها محتويات المجاميع.

٣- مكتبة دار إسعاف النشاشيبي وبها نحو ١٢٣٨ عنوان ويدخل بها محتويات المجاميع.

أما المجموع النهائي لعناوين المخطوطات شاملاً العناوين داخل المجاميع التي يحتوي المجموع منها على أكثر من عنوان. وبعضها رسائل صغيرة - فيصل حسب التقدير إلى نحو ٩ آلاف عنوان.

ومن بين هذه المكتبات نحو ثلاثة عشر مكتبة تمت فهرستها، ونشر لاحقاً اثنا عشر فهرساً، أحدها في ثلاثة أجزاء (مكتبة الأقصى) وثمة فهرس لا يزال مخطوطاً، وهو فهرس مكتبة إسحاق موسى الحسيني في القدس.

هناك بعض لمظاهر الثراء في جهود الفهرسة يُمكن إجمالها في ما يلي:

١- المكتبة الخالدية في القدس

- صدر لها عام ١٩٠٠ عندما أعلنت مكتبة عمومية «برنامج المكتبة الخالدية في القدس . القدس: مكتبة جورجي حبيب حنانيا»

- صدر لها عام ١٩٦٧ مخطوط يشمل الكتب المخطوطة والمطبوعة.

- فهرس المكتبة الخالدية في القدس، تحت الطبع في مؤسسة الفرقان في لندن

٢- مكتبة المسجد الأقصى في القدس:

٣- «فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى»: وجاء في ثلاثة مجلدات حتى الآن وكلها من إعداد خضر إبراهيم سلامة كما يلي:

- الجزء الأول: صدر في القدس: دائرة الأوقاف العامة في طبعتيه الأولى ١٩٨٠ والثانية ١٩٨٣.

- الجزء الثاني: عمان الأردن مؤسسة آل البيت ١٩٨٣.

- الجزء الثالث: لندن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٦.

ويلاحظ أن إنشاء الفهارس يمتد تاريخياً إلى الوراء إلى بداية القرن العشرين عام ١٩٠٠ . تاريخ ظهوره أقدم فهرس وهو برنامج المكتبة الخالدية في القدس.

أمّا أحد عمل أمكن الاطلاع عليه فيعود إلى عام ١٩٩٦، وهو تاريخ نشر الجزء الثالث من فهرس مكتبة المسجد الأقصى، بمعرفة مؤسسة الفرقان في لندن.

وإذا استثنينا فهرس الخالدية الأول عام ١٩٠٠ فإننا نلاحظ أن الفهرس إنما صدرت في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين أي في حدود عشرين عاماً.

وقد حظيت بعض هذه المجموعات بدراسات وصفية وببليوغرافية بلغ عددها خمساً تناول بعضها مخطوطات في موضوع معين، مثل:

١- مخطوطات فضائل بيت المقدس: دراسة وببليوجرافيا تأليف د.كامل جميل العسلي. عمان: مجمع اللغة العربية الأردنية ١٩٨١.

٢- فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة د.محمود إبراهيم الكويت: معهد المخطوطات العربية ١٩٨٥

وهناك بعض الدراسات الببليوجرافية التي تناولت مخطوطات فلسطين مع الاتجاه الانتقائي لجانب أو لآخر، ويعود أقدمها إلى عام ١٩٢٤ وهي كما يلي حسب التسلسل التاريخي:

١- خزائن الكتب العربية: وصف بعض المخطوطات في خزانة بيت الجوهري في مدينة نابلس والكتب موقوفة، ووصف كتاب في خزانة آل صوفان في نابلس/ محمد عزة دروزة مجلة المجمع العلمي العربي مج ٤، ١٩٢٤.

٢- مجموع نادر: مقالة بقلم عبد الله مخلص. مجلة المجمع العلمي العربي دمشق، مج ١٠، ١٩٣٠.

٣- دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها / محمد أسعد طلس. مجلة المجمع العلمي العربي دمشق مج ٢٠، ١٩٤٥ مج ٢١، ١٩٤٦.

٤- المخطوطات العربية في فلسطين: أبحاث جمعها وقدم لها د. صلاح الدين المنجد بيروت، دار الكتب الجديد ١٩٨٢.

وهناك دراسة حديثة تناولت مخطوطات فلسطين بشكل عام مع بعض التحليلات الإحصائية وهي:

٥- مخطوطات فلسطين واقع وطموح: بيت المقدس/ فؤاد عبيد القدس، منشورات مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني ٢٠٠٠.

ويلاحظ أن هذه أول دراسة تصدرها مؤسسة تابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية وهي بادرة تدل على اهتمام ووعي بأهمية هذه المخطوطات على المستوى الرسمي.

٦- قام مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني بإجراء دراسات ومسوحات خلال الأعوام الماضية بعد قيام السلطة الفلسطينية شملت تسع مكتبات فقط في مدينة القدس وهي:

مكتبة النشاشيبي - مكتبة مؤسسة إحياء التراث - مكتبة الأنصاري - مكتبة الخطيب - مكتبة الدراسات العربية- مكتبة المسجد الأقصى - مكتبة جامعة القدس - المكتبة الخالدية - مكتبة البديري.

دور بعض المؤسسات والعائلات في حفظ التراث المخطوط:

مجمع اللغة العربية الأردني:

قام المجمع بدور كبير في لم شتات التراث الوطني الفلسطيني المتناثر عن طريق تصويره وفهرسته ونشر هذه المدارس.

وتبنى منذ عام ١٩٨٢ طباعة فهارس المخطوطات العربية التي قام بتصويرها مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية وبشكل خاص المخطوطات الموجودة في مدن فلسطين، من المكتبات والمساجد والمتاحف.

- **الجامعة الأردنية:**

أسهم مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية في تصوير عدد كبير من المخطوطات من المكتبات العائلية والمساجد والمتاحف وقام بتكليف عدد من المفهرسين بفهرستها وكانت هذه الجهود في عدد من المدن الفلسطينية وشمل التصوير أيضاً مخطوطات المكتبة الأحمدية في عكا التي أنشأها أحمد باشا الجزار (١٧٢٠ - ١٨٠٤) وهي الآن في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨.

- **مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن (ويمبلدون)**

أسهمت المؤسسة في خدمة مخطوطات فلسطين بعملين هما:

- نشر الجزء الثالث من فهرس مكتبة المسجد الأقصى وكان الجزآن الأول والثاني قد نشرا من قبل.
- تبني نشر فهرس المكتبة الخالدية، وهو يشمل مخطوطات هذه المكتبة التي يبلغ عددها ألفي مخطوطة تقريباً أي ما يقرب من ربع المخطوطات الباقية في فلسطين كلها، حسب التقديرات الحالية وسوف ينشر هذا الفهرس قريباً ويمكن أن يقع في مجلدين أو ثلاثة.

- **عائلة الخالدي:**

سبق الحديث عن الصراع الطويل الذي خاضه بعض أفرادها. محاولات الاستيلاء على مبنى المكتبة القريب من حائط البراق وهو الموقع الذي تتركز فيه أطماع الصهيونية سعياً لتحقيق فكرة الهيكل الذي تحلم ببنائه، بعد تدمير كل ما يقع في المكان.

إن تضحية هذه العائلة بممتلكاتها وأموالها وجهود أبنائها للحفاظ على مجموعات المكتبة عمل يستحق كل التقدير والتسجيل في صفحات التاريخ وقد نشرت مشكورة أقدم فهرس للمخطوطات في فلسطين عام ١٩٠٠ عندما جعلت المكتبة مكتبة عمومية.

هـ-المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت في عمان:

حيث أسهم المجمع في نشر الجز الثاني

من فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى في القدس

- إدارة الأوقاف العامة مكتبة الأقصى:

نشرت ثلاثة فهارس للمخطوطات هي:

- الجزء الأول من فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى في القدس ١٩٨٣

- فهرس مخطوطات المكتبة البديرية مكتبة الشيخ محمد بن حبيش في القدس ١٩٨٧.

القدس

إن أكثر المخطوطات العربية والإسلامية موجودة في مكتبات المدينة المقدسة سواء المكتبات الخاصة أو المكتبات العامة ويعود ذلك إلى المكانة الدينية التي تحظى بها المدينة في نفوس المسلمين، ولعلّ هذه المخطوطات إضافة إلى الأماكن الأثرية وغيرها تشير إلى الارتباط الوشيج بين المسلمين على اختلاف مشاربهم وما تمثله هذه المدينة في عقيدتهم وتاريخهم وحضارتهم من مكانة لا يمكن تجاوزها لا حاضراً ولا مستقبلاً.

ويوجد في المدينة المقدسة تسعة مراكز ثقافية (مكتبات ومتاحف ومساجد) تخص المسلمين وتحتوي على مخطوطات تتفاوت في عددها من مركز إلى آخر.

هذا ويبلغ عدد المؤسسات الإسرائيلية التي تمتلك مخططات إسلامية ثلاث مؤسسات ولم يتح لنا معرفة عدد المؤسسات المسيحية وما تملكه من هذا التراث وسنتناول محتويات الأماكن الثقافية العربية والإسلامية أولاً ثم الإسرائيلية بغض النظر عن الترتيب الهجائي الذي اعتمدناه سابقاً.

١- مكتبة العائلة البديرية:

تقع في البلدة القديمة بجانب باب الناظر أنشأها عالم صوفي درس في الأزهر الشريف، ولم يكتف بذلك بل عمل على تنميتها وكان إنشاؤه لها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي هذا العالم هو الشيخ محمد بن بدير الشهير بابن حبيش وفاته في ٢٧ شعبان ١٢٢٠ هـ / ٢٠ تشرين الثاني ١٨٠٥ م درس في مصر نحو ثلاثين عاماً عاد بعدها إلى القدس واستوطن فيها وسكن الزاوية الوفائية ومات ودفن فيها.

والحق أن المكتبة البديرية تعد خير مثال على أن المكتبات العائلية في فلسطين هي في الأصل مكتبات خاصة ووضع المخطوطات في هذه المكتبة جيد إذ تخلو من الأرضة مقارنة بالمخطوطات في مكتبات أخرى وإن كانت لا تخلو من بعض المشاكل كانفراط أوراق بعضها إلى غير ذلك.

ويبلغ عدد المخطوطات نحو سبع مئة

مخطوطة بالعربية ومنها:

- الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم القشيري نسخت في ٥٦٢هـ ١١٦٧ م.
- مؤلفات الشيخ البديري مؤسس المكتبة وعددها ثمانية مؤلفات.
- منهاج الدكان لداود بن أبي نصر الكوهين العطار المتوفى ١٢٥٩ ولعلها نسخة المؤلف أو كتبت في عصره.
- البراهين النواقض لمباني ضلالات الروافض لإمام مسجد صفد وصيدا معروف بن أحمد وهي نسخة المؤلف كتبت في ١٥٦٠ وكان المؤلف قد زار مصر وشاهد إحياء ذكرى استشهاد الحسين وكتابه رد على كتب الشيعة ونقد لاحتفالاتهم.
- الأسانيد المباركة لابن حجر العسقلاني وهي نسخة المؤلف وتاريخها ١٤٤٩

وصدر لها فهرس

- سلامة، خضر، فهرس مخطوطات المكتبة البديرية (مكتبة الشيخ ابن حبيش) القدس، إدارة الأوقاف العامة - مكتبة المسجد الأقصى، جزآن ٦٧٧ صفحة

اشتمل الفهرس على مقدمة عن مؤسس المكتبة وعن العائلة البديرية في أربع وعشرين صفحة ورتب الفهرس هجائياً ضمن ستة عشر موضوعاً تبدأ بالعلوم القرآنية فالعلوم الإسلامية فاللغة العربية فالأدب العربي فالتاريخ فالمنطق فالميقات فالحساب فالطب وأخيراً موضوعات متفرقة.

وقد ألحق بفهارس المخطوطات خمسة فهارس أو مسارد مرتبة هجائياً اشتملت على عناوين المخطوطات وأسماء المؤلفين والنساخ والأعلام الواردة في بند الملاحظات وهي تتضمن الأسماء التي وجدت مكتوبة على نسخ المخطوطات سواء من قرؤوها أو امتلكوها وأسماء الأماكن التي وردت على المخطوطات إلى جانب بعض المخطوطات التي لم يعرف مؤلفوها.

إن كل المخطوطات في فلسطين هي مخطوطات عربية فلسطينية ترجع ملكيتها إلى أهل فلسطين العرب الشرعيين مؤسسات وأفراد وأسر لكن ثمة جهات تمّ إنشاؤها بعد ظهور الكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٨ جمعت فيها المخطوطات بالاستيلاء عليها أو شرائها من داخل فلسطين وخارجها وفي ما يلي بيان بهذه المجموعات في أماكنها الحديثة لتكتمل صورة تراثنا العربي في القدس.

مكتبة جامعة حيفا

تم تأسيسها عام ١٩٧٩ ويوجد فيها ست وأربعون مخطوطة جميعها باللغة العثمانية ويبدو أنها ألحقت بالمكتبة في عام ١٩٧٩ وهي في الأصل ملك لأحد الورثة وقام

بالتبرع بها للمكتبة ولا تملك الجامعة مخطوطات عربية.

القدس

١- المكتبة الوطنية ومكتبة الجامعة العبرية

تقع تحديداً في القدس الغربية أسست في عام ١٨٩٢ وتحتوي على ما يقارب نصف المخطوطات في فلسطين فقد بلغ عدد مخطوطاتها ٢١٤٣ مخطوطة منها أربعمئة مخطوطة بالفارسية، ومئة وعشرون مخطوطة مزينة بالرسومات، ومئة مخطوطة بالعثمانية إضافة إلى مئة وعشرين مصحفاً وعدة مئات من هذه المخطوطات تعد في النوادر.

وثمة ثلاثة مصادر لمخطوطات المكتبة الأول: مجموعة يهودا وهو تاجر يهودي عاش ١٨٧٧-١٩٥١، وأهديت مجموعته بعد وفاته للمكتبة وعدد مخطوطات هذه المجموعة ١١٣٥ مخطوطة.

أمّا المصدر الثاني: فقد قدّمته الحكومة الإسرائيلية للمكتبة وعدد هذه المخطوطات ٥٤٣ مخطوطة إضافة إلى ما هو موجود في المكتبة وعددها ٤٦٥ مخطوطة.

الفهارس

لا توجد فهارس مطبوعة لمخطوطات المكتبة وقد قام المسؤول عن تقسيم المخطوطات بعمل بطاقات بالعربية لجميع المخطوطات والمؤلف والموضوع.

وتم حديثاً صنع فهارس مفصلة لجميع المخطوطات عن طريق الكمبيوتر ولكنها لم تنشر حتى الآن.

٢- متحف ذكرى ماثير (المتحف الإسلامي)

يقع في القدس الغربية في شارع بلماخ تحديداً أسس في عام ١٩٧٤ وهو متحف خاص أنشأته زوجة عالم الفن الإسلامي /ل-مائير/ تخليداً لذكراه ويحتوي على ما جمعه الرجل أثناء حياته من مخطوطات وتحف إسلامية ويبلغ عدد المخطوطات تسع عشرة مخطوطة سبع منها بالعربية مصحفان وأربعة أجزاء من ربعات ومخطوطة عربية وجميعها مزينة بالرسوم النباتية والهندسية أما الباقي فهي فارسية مزينة بالرسوم أيضاً.

ومن مخطوطاته:

- رسالة دعوة الأطباء لابن بطلان وترجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي
- فتوح الحرمين لمحي الدين عبد الرحمن الناصري، وهي وصف مزين بالرسوم للحرمين الشريفين في مكة والمدينة.

الفهارس

ولا يوجد فهرس لهذه المخطوطات ولكن المتحف قام بعمل بطاقات للمخطوطات اشتملت على اسم المؤلف والعنوان والقياسات.

المتحف الإسرائيلي:

يقع في القدس الغربية، أسس عام ١٩٦٥، ويحتوي على أربعين مخطوطة بالعربية والتركية والفارسية وجميعها مزينة بالرسوم والألوان المختلفة.

ومن مخطوطاته:

- خمسة مصاحف ترجع للفترة بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر.
- أربع نسخ من دلائل الخيرات لمحمد ابن سليمان بن الجزولي ترجع إلى القرنين السادس عشر والثامن عشر.
- قصة يوسف وزليخة لنور الدين عبد الرحمن الحامي نسخة من بخارى يرجع تاريخ نسخها إلى عام ١٥٧٠

الفهارس

لم تنشر فهارس لهذه المجموعة بشكل منفصل ولكن نشر المتحف كتاباً عن المخطوطات والأوراق التي تحتوي على رسوم شرقية مثل المخطوطات الإيرانية وضمن الكتاب صور عن المخطوطات العربية والكتاب هو:

Mistin R Islamic painting in the Israel mueum with the con tributins n'ama brosh Jerusalem Israel museum 1984 220 pp.

الهوامش

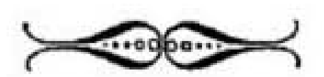
× تنسب العائلة إلى خالد بن الوليد وعائلة الخالدي من أقدم العائلات الفلسطينية، وأوثقها صلة بين المقدس، تولت مناصب القضاء والإفتاء والتدريس منذ القرن الثامن الهجري.

المصادر الرئيسة

١- كمال عرفات نبهان وآخرون، ندوة التراث العربي المخطوط في فلسطين، القاهرة: معهد المخطوطات العربية. (ومنه الاستفادة الكبرى في إعداد البحث).

٢- صلاح الدين المنجد، المخطوطات العربية في فلسطين، بيروت: دار الكتاب الجديد.

٣- فهارس المخطوطات العربية في العالم، كوركيس عواد، الكويت: معهد المخطوطات العربية.





التراث العربي المخطوط في بيت المقدس

إياد خالد الطباع *

إنّ المخطوطات عند أيّة أمة هي الذاكرة المخطوطة للأمة، إذ تكون ذاكرة صخرية منحوتة، أو جلدية، أو بردية، أو ورقية.

وتُعدّ مخطوطات العرب المسلمين واحدة من أكبر مدونات ذاكرة هذه الأمة، فهي نتائج لعبقرية التدوين، والتي تجلت بتدوين القرآن الكريم، في لحظة مشقة من ذاكرة الإنسانية، ثم عصر التدوين لكل آدابهم وعلومهم، وهو نفسه عصر النهضة والتذكر والسيادة العربية.

وأيّ معركة للعدو أفضل من المعركة مع ذاكرة الأمة المدونة في سجلات

* باحث في التراث العربي

الذاكرة الخارجية؟ خصوصاً في فترة مرض هذه الأمة وإصابتها في الرأس، أو في الذاكرة الداخلية بتعبير آخر.

• **تراث فلسطين المخطوط:**

كانت المكتبات الأولى التي عرفتها فلسطين هي:

- مكتبات الأديرة المسيحية، وكان بعضها موجوداً في فلسطين قبل دخول الإسلام إليها.
- مكتبات الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا بعد الفتح العربي الإسلامي، وأقدم مكتبات المدارس مكتبة دار العلم الفاطمية في القدس التي أنشأها الحاكم بأمر الله في القرن الخامس الهجري، على غرار مكتبة دار العلم الفاطمية في القاهرة.
- المكتبات الخاصة لدى الأفراد من العلماء ثم العائلات.
- المكتبات العامة، وقد ظهر أولها عام ١٩٠٠، وهي المكتبة الخالدية بالقدس.

وثمة جهود كثيرة بذلت في إنشاء مجموعات للمخطوطات في مؤسسات عديدة، تحتاج إلى تاريخ خاص بها، ومن الممكن أن نذكر في هذا السياق، ما قام به أحمد باشا الجزار في نهاية القرن الثامن عشر حين أنشأ في مدينة عكا ثلاثة آثار، هي المسجد، والسبيل، والسوق، وكان بالمسجد مدرسة، ومكتبة، ولم يبق من المدرسة سوى الأثر، أما المكتبة، وتسمى بالأحمدية، فما تزال بعض محتوياتها من المخطوطات موجودة حتى اليوم، وبعضها يحمل توقيع الجزار نفسه، وحظيت هذه المجموعة بفهرس مطبوع، هذه المجموعة موجودة الآن في الأرض المحتلة عام ١٩٤٨.

وفي بدايات القرن العشرين اهتم المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى بإنشاء اثنين من دور الكتب الإسلامية في المناطق الفلسطينية، وهي:

- دار كتب المسجد الأقصى.
- دار الكتب الإسلامية في يافا عام ١٩٢٣، وهي مجموعة مخطوطات حفظت في مسجد النزهة في يافا، وتركت منسية، عددها ٢٣٩ مخطوطة، تمّ تصويرها على ميكروفيلم، وحفظت المخطوطات في مكتبة النادي الإسلامي في يافا، ومعظمها بالعربية، وقليل منها بالتركية، وأربع منها بالفارسية، ويعود أقدمها إلى القرن السابع الهجري.

وابتليت فلسطين بهجمة الصهيونية التي جمعت كل خصائص الاستعمار وفلسفاته، فكانت ضربة قاصمة للعالم العربي كله ما يزال يستشفي من آثار تدهور الدولة العثمانية والتخلف السياسي والاجتماعي والعلمي، ومن جروح الاستعمار الذي التهم غنائم السلطة الراحلة.

وحلت الكارثة في عام ١٩٤٨، فاحتلّ الصهاينة معظم فلسطين، ويمكن أن نلخص ما حدث في ما يلي:

١- سقطت في أيديهم مئات من المكتبات العامة وآلاف من الكتب والمخطوطات.

٢- دمّروا كثيراً من المكتبات تدميراً كلياً نتيجة الحرب.

٣- سرقوا الكثير من المكتبات، ونهبوا ما فيها.

٤- صادروا المقتنيات التراثية في المدينة المقدسة. ومنذ احتلال الصهاينة للقدس عملوا على سلب المخطوطات والوثائق المتعلقة بالقدس الشريف خاصة! تمهيداً للاستيلاء عليه في غياب الذاكرة العربية.

وقد تمّ إنقاذ عدد ضئيل من الكتب والمخطوطات التي نقلت بعد عام ١٩٤٨ إلى المدن الفلسطينية.

وإثر حرب ١٩٤٨ تعرض كثير من المؤسسات العربية الإسلامية وغيرها للتخريب والإهمال، وسقطت مدن عربية هامة، مثل عكا ويافا وغيرهما، وبما فيها من مخطوطات في يد الدولة الصهيونية، وعلى الرغم من وجود هذه المكتبات حتى في عكا ويافا، فقد نهبت إسرائيل منها قدراً كبيراً.

وكانت أول سرقة بعد ١٩٤٨ في فلسطين المحتلة، والثانية بعد نكسة ١٩٦٧ في الضفة الغربية وغزة، وبدأ التطاول على مكتبات القدس الشرقية، ومنها المكتبة الخالدية.

وهكذا لقيت المخطوطات على يد الصهاينة أنواعاً من العدوان تمثلت في:

- الإحراق والتدمير.
- النهب والاغتصاب
- التدخل في تحقيق بعض هذه المخطوطات بشكل انتقائي، يخدم أهدافاً صهيونية كما سنرى.
- منع السلطات الإسرائيلية ترميم المخطوطات الإسلامية التي يخشى أنها تتعرض للتلف يوما بعد يوم.
- إفقار الشعب الفلسطيني حتى أصبحت حالة كثير من المخطوطات في مكتبة المسجد الأقصى ولدى كثير من العائلات سيئة جداً، تعاني من سوء التخزين، ونقص الخبرات المؤهلة في المكتبات، وتهالك الأبنية، وكثير من المصائب الأخرى التي تترتب على الفقر والتجويع والإحباط، تلك التي تدمر الإنسان والبيئة والذاكرة.

• المكتبة الخالدية* في القدس:

تقع في طريق باب السلسلة بالبلدة القديمة، وهو من أبواب الحرم الشريف الرئيسة، وهي على بعد مئة متر من الحرم،

كما تطل على حائط البراق (وليس حائط المبكى، كما يقول الصهاينة، وينقل عنهم العرب !).

وتعود النواة الأولى لهذه المكتبة إلى وقف للقاضي طه بن شرف الدين الخالدي، عام ١٦٦٠، ثم تابع وقف الكتب محمد صنع الله الخالدي، منذ عام ١٧٢٠، وتراكمت عليها مجموعات من المخطوطات من أفراد الأسرة، من اختيار مشايخ العائلة جيلاً بعد جيل، كما ساهمت فيها بعض سيدات الأسرة بشراء مجموعات من المخطوطات وجعلتها الأسرة مكتبة عامة منذ عام ١٩٠٠، وخصص لها إيراد من أوقاف العائلة بالقدس.

وتوجد المكتبة الخالدية في مبنى أثري قديم، هو ثاني أقدم بناء مملوكي في المدينة المقدسة، وهو مقبرة لثلاثة من الأمراء الخوارزمية الذين جاؤوا لمحاربة الصليبيين، أولهم الأمير حسام الدين بركنخان، المتوفى في ٦٤١هـ. بعض أبنائه قد بنى مقر المكتبة عام ١٨٩٨ مكان بناء متهدم ملاصق لهذه المقبرة، وتشمل مجموعة المكتبة دوائر هامة من التراث: تراث القدس وفلسطين الحالي، ثم التراث العربي الإسلامي، في دوائر متسعة.

وتضمّ المكتبة أكبر مجموعة من المخطوطات العربية في فلسطين، تصل إلى ألفي عنوان تقريباً، إلى جانب عدة آلاف من الوثائق وغيرها، اكتشفت صدفة عام ١٩٨٧ تحت السقف القرميدي للمكتبة، أثناء عمليات الترميم، وبعضها وثائق رسمية عثمانية وأوراق شخصية.

وقد افتتحت رسمياً بكونها مكتبة عمومية عام ١٩٠٠ وطبع لها في العام نفسه فهرس بعنوان «برنامج المكتبة الخالدية العمومية» صنفه أبو الخير محمد الحبال البيروني مولداً (يلاحظ أن كلمة برنامج استخدمت قديماً بمعنى فهرس، ومنها برنامج الشيوخ مثل برنامج المجاري.. إلخ).

وكان عدد المخطوطات آنذاك ٦٨٠ مخطوطاً إلى جانب مئات من الكتب، ثم ضمت إليها في ما بعد مكتبات آل الخالدي الخاصة في موجات متتالية.

وبعد النكسة ١٩٦٧، واحتلال إسرائيل لمدينة القدس، تعرضت المكتبة لمحاولات متكررة من الإسرائيليين المحتلين للاستيلاء عليها.

وقاد غورين كبير حاخامي الجيش الإسرائيلي سابقاً حملة ضارية للاستيلاء على المكتبة، واحتل الطابق الأعلى فوقها، وجلب عدداً من تلاميذ مدرسة ياشيفا التلمودية، التابعة لحركة يهودية من الغلاة، تحت شعار إعادة بناء الهيكل في ساحة الحرم القدسي الشريف، وتصدرت له لجنة عائلة الخالدي عام ١٩٨٢ وجمعت هبات